الفن والرياضة يحققان ما لم تستطع السياسة تحقيقه

حنان أويشا

قبل ايام قليلة عاش العراقيون بكل الوانهم حدثا كبيرا.. حدث اقل ما يقال عنه انه ملحمة جديدة اضيفت الى سجل تاريخ العراق الحافل بالانجازات والملاحم، فقد فاز المنتخب الوطني العراقي وتوج بطلا لامم اسيا لعام ٢٠٠٧ لتعم بذلك بين العراقيين داخل الوطن وفي الشتات فرحة عارمة ربما لم يعيشوا مثيلاتها منذ عقود طويلة.. الحدث الذي لم يتوقعه احد رغم ما سبق البطولة وخلالها ايضا من التحليلات والاراء الكثيرة التي ادلى بها المحللون الرياضيون وفي اغلب المحطات الفضائية والارضية، الذين كانوا يعولون على هذا الفريق تارة، وذاك الفريق تارة اخرى. وطبعا لم تأت تلك التوقعات اعتباطا، بل جاءت مبنية على اساس ما سبق البطولة من عمليات الاعداد والتحضير للفرق المشاركة والمعسكرات التدريبية التي دخلتها.. لم نسمع احدهم يضع الفريق العراقي في خانة المرشحين للفوز بالبطولة بل كان هناك تشكيك في اجتيازه الادوار الاولى ايضا، وحتى المحطات العراقية التي وان آزرت الفريق بقوة وكرست كل امكانياتها لذلك الا ان توقعاتها بالفوز بالبطولة كانت خجولة ايضا واقتصرت على اطلاق الامال والامنيات بتحقيق ذلك.. ولكن فعلها العراقيون.. فعلها ابناء العراق واسوده بكل شجاعة، واثبتوا قدرتهم وحضورهم رغم خوضهم جميع المباريات حتى اثناء التصفيات في ملاعب وساحات الغربة. ورغم تحضيراتهم المتواضعة جاءوا بالكأس الذهبية وقدموها هدية وصفوها بالبسيطة الى ابناء شعبهم، الذي عجز عن وصف قيمتها، ولم يشبع لحد الان من التعبير عن ثمنها ولاتسعفه الكلمات لذلك.

لقد ادلى رئيس الاتحاد الاسيوي لكرة القدم بكلمتين وصف بها الفريق العراقي الذي قال انه "مدرسة الحياة" وياله من وصف جميل وعميق المعاني.. اليس حقا مدرسة الحياة؟ فقد جاء فوز المنتخب العراقي ببطولة الامم الاسيوية كصفعة قوية في وجه كل اعداء الحياة.. اعداء العراق الذين لايريدون لهذا البلد العريق العيش بحرية وكرامة ورفاهية، متناسين او متجاهلين عظمة هذا البلد وابنائه.. متناسين ان شعب العراق شعب تلك الحضارات التي لايمكن ان تندثر يوما بل هي في تجدد دائم وكل يوم يجدد العراقيون تلك الابداعات والملاحم.

قد يقول البعض ان العراقيين يبالغون في ما يصفون به فريقهم او في ما يفعلونه احتفالا به وبفوزه. ولكنها حقا ليست بالمبالغة، فالمسألة تعدت كونها فوز فريق في لعبة رياضية شعبية لتتحول الى ملحمة حقيقية في تاريخ وطن يأبى الموت والذل، ورغم جراحه العميقة فهو يؤمن بحياة الانتصار والابداع وتخطي الصعاب مهما كثرت، وانه لابد وان يأتي اليوم الذي سيولد فيه من جديد، ويعيش حياة الكرامة كما هو حال الشعوب التي تتخذ من كرامة الانسان وحقوقه محورا اساسيا لتطورها وتقدمها.

لقد برهن العراقيون وحدتهم وتلاحمهم التي مازال اعداؤهم يراهنون عليها، وعشنا ذلك البرهان واختبرنا نموذجين رائعين لهما على الاقل في الاشهر القليلة الماضية.. اولهما عندما وقف جميع العراقيين بكل قومياتهم واديانهم وطوائفهم الى جانب ابنتهم "شذى حسون" ودعمهم لها حتى نالت لقب "ستار اكاديمي" من خلال اتصالاتهم وتصويتهم لها الذي فاق وقتها كل التوقعات ايضا بعد حصولها على نسبة عالية من الاصوات فاق كثيرا النسب التي حصل عليها زملاؤها المشاركين في البرنامج.. فهي استحقت اللقب بجدارة، وعبرت عن حبها لشعبها ووطنها الذي بادلها الحب وتفاعل معها ومع فنها، وفي نفس الوقت عبر عن وقوفه متحدا متماسكا عندما يكون رفع اسم العراق وعلمه هو الهدف المنشود، لتتحول مسألة نيل شذى للقب الى تظاهرة وطنية خرج اليها جميع العراقيين اينما كانوا.

وها نحن نعيش النموذج الثاني بعد فترة لاتتعدى اشهر قلائل، فلم يقتصر فوز المنتخب العراقي على هز شباك الخصم بهدف قاتل، وانما جاء بزلزال هز مشاعر العراقيين ونفوسهم متلقين رسالة نبيلة من فريقهم اعتمدت على بذل ما في الوسع من اجل اسعادهم. فقد حقق يونس وهوار ونشأت وقصي وجميع زملائهم والى جانبهم الشعب العراقي بأكمله ما لم يتمكن السياسيون العراقيون تحقيقه.. وعزف المنتخب في المستطيل الاخضر سمفونية رائعة، وضعت نغماتها روح الجماعة، وتغنت بعشق الوطن وتحدت الخصم بكل امكانياته، وتحت وطأة الامطار والرطوبة العالية، وفوق كل هذا بعيدا عن ارضه وجمهوره.. سمفونية كنا نأمل من سياسيينا ان يعزفوا لنا نغمة واحدة منها داخل مستطيلهم الاخضر الجامح في قلب العراق.

لقد كانت رسالة العراقيين الى ساستهم واضحة، فالذي عجزوا هم عن الوصول اليه بالاتفاق والخروج بهذا الشعب من محنه ووضعه المأساوي تمكن شعبهم من تحقيقه عبر فنانيه ورياضييه ومثقفيه وجميع شرائحه، الذين صبروا كثيرا على الجراح.. افلم يحن الوقت ليقول للدموع وداعا؟ اليس من حق هذا الشعب العريق الثري بالابداعات والبطولات ان يتنفس الصعداء ليغني العالم والبشرية من جديد؟ وكيف لا وهو الذي رفدها بالابجدية ومختلف العلوم والفنون.

هنيئا لكم يا عراقيين هذا الفوز، وهنيئا لكم هذا التلاحم والاصرار على الحياة، وبئسا لاعدائكم، أعداء المحبة والخير والسلام.

أبعاد جديدة عن أصول طوفان نوح

فؤاد يوسف قزانجي

يزخر الأدب الرافديني بالملاحم والاساطير والقصص التي تربط بين الحقيقة والخيال لانها كانت الاسلوب الوحيد لدى شعب وادي الرافدين للتعبير عن حقائق انسانية او تاريخية او وقائع وحوادث ماحقة أو كوارث هائلة مثل الطوفان. ولعل اقدم قصة لدينا هي القصة السومرية التي تعود بداية كتابتها الى مابين السنوات ٢٥٠٠–٢٠٠٠ ق.م حيث قام بعدها البابليون باعادة كتابتها في قرون تالية والاضافة عليها. وهذه القصة تتحدث عن الرجل الذي تخلد اسمه "زيوسودرا" أبو نوح السومري الذي روى قصة الطوفان على النحو التالي "انه بعد أن خلقت الآلهة آنو والنليل وننخورساك وانكي تم خلق البشر. ثم انبعث الخضرة من الارض. وجاءت الى الحياة الحيوانات ومخلوقات السهول وانذاك نزلت الملكية من السماء باشاراتها. واسست المدن الخمسة وهي اريدو وبادتبيرا ولاراك وسيبار وشروباك. واعطى كل الى زعيم ليحكمها".

"وفي عهد الملك زيوسودرا ملك شروباك الذي يوصف بالكاهن الورع ايضا حدث الطوفان الاعظم الذي ارادت به الالهة تدمير الجنس البشري، وجاء من يخبر زيوسودرا يعمل فلك له وفعلا حدث الطوفان فأغرق المدن المقدسة الخمسة. حيث ارتفعت المياه على اليابسة لسبعة ايام بلياليها وظلت سفينة زيوسودرا تعصف بها الرياح العاتية والمياه العالية. ففتح زيوسودرا شباك السفينة حيث ان الالهة شمش ارسل اشعته الى السفينة. فسجد زيوسودرا لرب الشمس وبعدها ضحى ببقرة وذبح شاة. ثم اخذت الخضرة بالظهور وانحنى زيوسودرا ساجدا الى آنو والنليل حينذاك منح هذان الالهان زيوسودرا الخلود الذي هو من نصيب الالهة ثم اسكناه في دلمون (الجنة)". إن هذه الرواية اقل تفصيلا من الرواية البابلية التي نشرت مرارا مع ملحمة كلكامش وترينا ان البشر والنباتات والحيوانات خلقت بعد الالهة. وقد ارخت لنا وجود المدن الخمسة اللواتي هبطت إليها الملوكية. وقد كانت مدينة سيبار اطول المدن عمرا بينما نجد ان لاراك وبادتبيرا سرعان ما هجرتا وتركتا للزمن. والطريف ان اسماء حكام المدن نزلت مع المدن، مما يدل على ما كان يعتقد به الانسان الرافديني من قدسية المناصب العليا كما ادرك كون ارض دلمون تمثل لديه الجنة الموعودة. نجد ان قصة الطوفان تتطور وتتوسع في الرواية البابلية، حيث أضيف إليها كيف تألمت الالهة المحبوبة عشتار على ما قاساه نوح البابلي اوتونابشتم (القراءة الجديدة لاوتونابشتي) وكيف ارسل اوتونابشتم حمامة بعد ان توقفت السفينة على جبل نيسير في شمال العراق ولكن الحمامة عادت فلم تجد مكانا لها. فأرسل طير السنونو فلم يحط في اي بقعة خوفا من البلبل. ثم ارسل الغراب فلم يعد لانه لابد وقد وجد موضعا له والجاحظ يذكر اجماع المسلمين على كون الحمامة دليل نوح ولذلك كافأها بالطوق الذي في عنقها وحتى الشاعر جهم بن خلف وصفها "مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها اذ دعا"(٢). وتذكر المصادر الهندية والصينية واليونانية اخبارا عن طوفان شامل مماثل، ولكن القصص التي ترويها تختلف عن القصص السومرية والبابلية والتوراتية. اما المصادر الصينية فتذهب الى حد جعل الطوفان الحد النهائي لعصر دعته (عصر العشرة العظام) واما الشخص الذي نجا من الطوفان فيدعى (يو) الذي اخبره احدهم عن الطوفان. حيث قام ببناء سفينة. ثم يأتينا وصفا للكيفية التي غطت بها المياه قمم الجبال. والطريف ان قصة الطوفان الصينية تضع بأن عشرة ملوك كانوا يحكمون البلاد قبل الطوفان مثلها بذلك مثل الرواية السومرية التي تتحدث عن عشرة ملوك حكموا البلاد قبل الطوفان. أما المصادر الهندوسية فتعطينا روايات مختلفة عن الطوفان. وتجعل (ماتو) الشخص الذي نجا من الطوفان وتصف لنا لجوء سمكة صغيرة عند الملك ماتو لحمايتها من كبار السمك وعندما حماها وكبرت عنده قذف بها الى البحر فرجعت بعد فترة لتخبره بان طوفانا هائلا سيحدث وذلك جزاء احسانه لها وتطلب منه بناء سفينة للنجاة من خطر الطوفان ثم عادت لتسحب الفلك بعد اكتماله الى البحر، وبعد زوال الطوفان رسى الفلك عند جبل (همدان) ثم كشفت السمكة عن هديتها فاذا هي (براهما) رب الخلق. ولذلك يكون الملك ماتو الشخص الذي نجا من الطوفان وتجعله المصادر الهندوسية الملك الذي وضع القوانين والانظمة للبلاد. وتخبرنا أسطورة عبرانية أن نوح قد جرحه اسد وبذلك ظل يعرج. ومن الطريف ان القصة الصينية للطوفان تصور بطل الطوفان اعرجا! اما الاسطورة الفارسية (البنداهشن) فهي مشابهة للرواية البابلية.. فعندما افسد (اهريمان) وزمرته الأرض وسكانها صمم (تاشتار) اله الماء تطهير الارض من ارجاسهم بماء عرم ارسله بقوة. فوصلت المياه الى مافوق قامة الانسان وظلت السماء ترسل المطر مدرارا ثلاثين يوما وليلة. وما ان قتلت مياه الفيضان الاشرار حتى امر (اهوارا مزدا) المياه بالانحسار الى البحر. أما القصة اليونانية فتخبرنا ان (اوكايجيس) ملك (بيوشا) او (اتيكا) طغت على مدينته مياه بحيرة (كوتيس) واغرقتها ولكن الملك استطاع الهروب في قارب(٣). اما القصة اليونانية الثانية فتعرفنا كيف ان الاله العظيم (زوس) عندما رأى ان البشر قد اصبحوا اشرارا صمم على تطهير الارض منهم بواسطة طوفان هائل يغمر المعمورة فاوقف اولا الريح الشمالية التي تسير السحب. وارسل رياحا جنوبية عاصفة وامر اخاه (بوسايدون) رب البحار بان يطلق المياه التي بامرته فاجتاحت المياه الارض وحدث طوفان هائل وهلك البشر كلهم فيما عدا (دابو كاليان) وزوجته (بيرها) وذلك بواسطة فلك صنعوه قبل الطوفان ودام الطوفان سبعة ايام رسى بعدها الفلك عند جبل (بارناسوس) بعد ان اوقف (زوس) الرياح الشمالية وامر اخاه بحسر المياه. ونجد ان معظم روايات الطوفان تكاد تكون في اساسها القصة السومرية ويبدو انها شاعت في بلاد العالم القديم وانتشرت خصوصا عندما اعيد كتابتها اكثر من مرة في عصر ازدهار الحضارة البابلية بين القرن الثامن عشر قبل الميلاد والقرن الثاني عشر قبل الميلاد حينما ابدع البابليون في تناول معظم الاساطير والملاحم الرافدينية. واضافوا اليها من خيالهم الخصب ومن حسن صياغتهم الدرامية الشيء الكثير سواء في المعنى او المبنى. اما بالنسبة لرواية الطوفان. فيبدو ان اخبار الطوفان طغت على معظم العالم القديم وخصوصا تلك الحضارات التي قامت بقرب الأنهار الكبرى في العالم، إذ أن هناك طوفانات عديدة حدثت في بلاد الرافدين وفي البحر الاسود وهضبة الاناضول وفي اليونان والهند والصين وغيرها ولكن في اوقات متفاوتة. اما في العراق القديم فيرجع (وولي) حدوثه بين السنوات ٤٠٠٠–٣٠٠٠ ق.م في جنوب العراق وحيث لا دليل لدينا على حدوثه في فلسطين، فالواضح إن أنبياء اليهود استفادوا مما ورد في ثقافة اهل العراق ووضعوا الحادثة وربطوها بالخالق فجاءت عبرة للناس. والعلماء لا يستبعدون حدوثها نتيجة ذوبان الثلوج بعد العصور الجليدية وحلول مواسم دافئة فجأة حيث ظلت ذكريات نكبات. على الانسان تتناقلها الاجيال كما يقول جورج رو(٤).

المصادر:
1– الاحمد. سامي سعيد. السومريون وتاريخهم الحضاري. بغداد: الجمعية التاريخية العراقية. ١٩٧٥ (ص١٤٤–١٤٥–١٧٢–١٧٣).
2– جميل. فؤاد. الطوفان في المصادر السومرية والبابلية. سومر مج ٢٨ (١٩٧٢ ص٨٧–١١٢).
3– Campell,joseph. The masks of god world mythology N.Y 1959 (p.382) .
4– Ronx, george. Androw) –iraq.(clove land 64) (p.100 – 101 .

لجان مؤتمر شرم الشيخ هل باشرت مهامها؟

حنا الراهب

لم تكن المؤتمرات التي شهدتها السنين الأربع من عمر الجرح العراقي النازف بمستوى الجرح وحجم الحدث. لم تصل الى مكنون هم العراقيين بل لم تلامس سطح فجيعتهم واستكثرت عليهم حتى كلمات الادانة وصمت آذانها عن صراخهم ولم تكن جادة بالشكل المطلوب وإن اختلفت أماكنها وتنوعت خطبها وتغيرت شخوصها وبعدت رؤاها إذ عقدت خلال هذه الفترة أكثر من خمس مؤتمرات دولية واقليمية خصت المسألة العراقية وتداعيات سقوط السلطة السابقة فمن مؤتمرات دول الجوار، الى مؤتمر مكة الى مؤتمر بغداد الى غيرها، لم تخرج عن مألوف تبادل الكلمات والخطب الاستعراضية المشحونة بالنصائح والتي لا تسمن ولا تغني من جوع والمحشوة باللوم أحيانا والرثاء المبطن بالشماتة احيانا اخرى، وقد تصاحب بشجب خفيف عاتب من طراز متداول من قبيل "لسنا مع أو ضد" والوقوف على مسافة واحدة. وشيء من مواعيد عرقوب وسراب الأماني حيث لم يلمس المواطن العراقي المنكوب على أرض الواقع غير كلام سئم من تكراره وصار مثيرا لأحزانه ومقلبا لمواجعه. ولكن– ولا نريد ان نستبق الأحداث– فعلى ما نظن ان نتائج مؤتمر شرم الشيخ ستعوض خيبة المؤتمرات السابقة، بعدما كسر هذا المؤتمر كل قواعد المؤتمرات الرتيبة وخرج عن مألوف أجندتها المعروفة النتائج مسبقا. حتى لقد بدا وكأنه تظاهرة دولية واسعة ونخوة انتصار انسانية لحق أحاطته قوى الشر من كل جانب وتناهشته أنياب الارهاب المنظم ومخالبه البربرية.

تظاهرة ضمت أكثر من ستين دولة عربية وأجنبية ومن بينها الدول العربية كافة ودول جوار العراق ودول القرار في مجلس الأمن وبعض دول اوربا وأفريقيا والعالم الاسلامي ومنظمات وهيئات دولية معروفة.

ولم تأت أهمية المؤتمر من عدد الدول المشاركة فحسب– وإن كانت هذه الدول تشكل المنظومة العالمية في معالجة ما يجري من أحداث واحتوائها للصراعات الدائرة بين العديد من الأطراف وحل أعقد الاشكاليات واخماد الحروب وأعمال التطرف والتمييز العرقي والعنصري الدائرة في بقاع كثيرة من العالم بما تملكه من قدرات فائقة في مجالات سياسية وعسكرية واقتصاد رصين معافى– فاضافة لهذا العامل الأهم امتاز المؤتمر بازدحامه بالأهداف المتشعبة التي تخص امورا خارج نطاق المهمة العراقية الرئيسية التي كانت محور نقاشاته وسبب انعقاده والتي عكستها اللقاءات الثنائية بين وزراء خارجية الدول المشاركة لكسر جمود العلاقات بين تلك الأطراف، ونزع فتيل التوترات التي سادت في الفترة المنصرمة، كان من أبرزها بعد تهيئة الأجواء التي وفرها المؤتمر لحضور وفود الولايات المتحدة وبريطانيا وايران وسوريا وما نتج من تقريب وجهات النظر اثر لقاءات الوزيرة كونداليزا رايس بوزير خارجية سوريا لاسيد وليد المعلم وتبادلها الحديث مع وزير خارجية ايران منوشهر متقي. حيث تم مناقشة أمور لم تتح الفرصة لمناقشتها سابقا. وكذلك لقاء الوزيرة البريطانية مع الوزير الايراني في نفس اليوم ولنفس الأهداف والمتمثلة بتحسين العلاقات الغربية الايرانية وما لهذه اللقاءات من أثر واضح في تقريب وجهات النظر واذابة الجليد الذي لبد علاقات تلك الأطراف طيلة السنين الماضية، وما لا شك فيه ان تحسن العلاقات الدولية وحل الأزمات العالقة وإطفاء بؤر التوتر وازالة أسبابها وخاصة علاقات الولايات المتحدة وبريطانيا مع ايران وسوريا تنسحب ايجابا على منطقة الشرق الأوسط بكل دولها وتسهم في إشاعة الأمن والاستقرار فيها وكذلك تؤدي الى قيام المشاريع الاقتصادية التي تخدم مصالح شعوب المنطقة وتوثق علاقاتها ببعضها من جهة وبالدول الكبرى المؤثرة من جهة اخرى. هذه اللقاءات المثمرة عززت التعهدات التي شهدها اليوم الأول للمؤتمر من قبل أكثر من ستين دولة بدعم العراق اقتصاديا وسياسيا وفي كل المجالات، وتقديم مساعدة مالية بأكثر من ثلاثين مليار دولار على شكل منح واطفاء ديون. اذ قطعت تلك الدول– بحضور الأمين العام للأمم المتحدة وهيئة ادارة البنك الدولي– على نفسها عهدا بالايفاء بكل التزاماتها تجاه العراق بعد ان وقعت على وثيقة العهد الدولي الذي نظمته هيئة الأمم المتحدة بالتعاون مع البنك الدولي. وغير تلك المساعدات المالية فقد تبنى المؤتمرون خطة خمسية لمعالجة مشاريع الأمن والاعمار في العراق شريطة ان تفي الحكومة العراقية بالتزاماتها التي وقعت عليها في وثيقة العهد والتي تضمنت: – تعهد الحكومة العراقية بإجراء اصلاحات شاملة وتحقيق المصالحة الوطنية، – حل جميع الميليشيات المسلحة والتصدي للارهاب بكل أشكاله، – عدم تهميش أي طرف في العملية السياسية وتوزيع الأدوار حسب الاستحقاق، – دعم وانشاء مؤسسات حقوق الانسان، تحقيق العدالة الاجتماعية، – بناء قوات مسلحة ومسك الملف الأمني، – منع قيام حرب أهلية.

والحقيقة ان تلك التعهدات الكبيرة الداعمة جديرة بالايفاء بما يناسبها من التزامات على ان هذه الالتزامات لا تمثل ثمنا مقابلا بقدر ما تكون عاملا مساعدا وقوة دافعة لتلك التعهدات لكي تؤدي ثمارها وتحقق الهدف المنشود المتمثل باستقرار العراق أمنيا وسياسيا واقتصاديا للانتقال الى مرحلة البناء والاعمار.

ولم يكن اليوم الثاني للمؤتمر والذي خصص لدول الجوار العراقي اضافة لجمهورية مصر العربية ومملكة البحرين بأقل أهمية من اليوم الأول فقد تعهدت تلك الدول وبحضور الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن اضافة لليابان وألمانيا بدعم العملية السياسية الجديدة وبذل أقصى الجهود في ضبط حدودها الاقليمية مع العراق ومنع تسلل الارهابيين بعدما أكدت ادراكها لخطورة الموقف والذي سيطال جميع دول العالم وأولها دول الجوار.

ومتابعة لتنفيذ مقررات المؤتمر بشقيه الدولي والاقليمي تم تشكيل ثلاث لجان مختصة انبثقت من بين أعضاء الدول المشاركة: ١. لجنة أمنية لمراقبة الحدود، ٢. لجنة متابعة شؤون المهجرين النازحين، ٣. لجنة شؤون النفط والطاقة.

ومثلما وفر هذا المؤتمر فرصة للقاء أطراف متنافرة، وهيأ الأجواء للتقريب من وجهات النظر المختلفة، ومثلما أزاح عن صدر الاقتصاد العراقي ثلاثين مليار أرهقت ميزانيته والتزم الجميع بتقديم المزيد من الدعم السياسي والاقتصادي والأمني وخاصة في مجال ضبط الحدود ومكافحة الارهاب فانه يمثل اختبارا لأطراف العملية السياسية وقادتها في العراق ويضع الجميع أمام مسؤولياتهم الوطنية والتاريخية في استثمار هذه الفرصة التي قد لا تتكرر.

> **التعهدات الكبيرة الداعمة للعملية السياسية في العراق والتي قطعتها الدول المشاركة في مؤتمر شرم الشيخ جديرة بالايفاء بما يناسبها من التزامات الحكومة العراقية. على ان هذه الالتزامات لا تمثل ثمنا مقابلا بقدر ما تشكله من عوامل مساعدة، وقوى دافعة لتلك التعهدات كي تؤتي ثمارها وتحقق الهدف المنشود المتمثل باستقرار العراق امنيا وسياسيا واقتصاديا والانتقال الى مرحلة البناء والاعمار.**